

رب أشعث أغبر !

ناهض منير الرئيس

شيء يلذع القلب .. أن يتصور المرء الحجاج الفلسطينيين في الحال التي يصفونها لأقاربهم .. بعد خروجهم من وعشاء الحج .. متروكين في الصحراء العربية .. الصحراء المعنوية والصحراء المادية .. وقحط التراب وقحط المضافة .. والريح تعصف بحياتهم وبحجهم وبأعصابهم وبإحساسهم الذي ظفروا به من رحلة العمر . فهم يجدفون من وجع القلب وضيق المذهب .  
وبعد ..

فهؤلاء الفلسطينيون الذين تقطعت بهم السبل قد خرجوا وهم يظنون أنهم لا بد عائدون إلى قطاع غزة . وهؤلاء جيل غير جيل ٤٨ الأول الذي خرج من فلسطين وهو يظن أنه عائد فلم يعد . وقصتهم هي قصة كل مؤمن يشوقه أن يقوم بشعيرة الحج التي هي من أركان الإسلام . بعضهم شيخ يخشى أن يدركه الأجل قبل أن يحج إلى البيت الحرام . وبعضهم والد أراد أن يلتقي بولد لم يره منذ عقود من الزمن ، أو ولد لم يلتق بوالده فكانت الديار المقدسة فرصة اللقاء في ظل الحرم . وبعضهم أراد أن يقضي تفته ويوفي نذوره . وبعضهم أراد أن يشهد منافع له . وبعضهم ضاق بقطاع غزة المحاصر من كل جانب حتى من السماء المزدهمة بالطائرات الزنانة والطائرات القاصفة والطائرات ذات السرعة الأعلى من سرعة الصوت . فشاء أن يجد في ظل الحرم راحة لأعصابه وترويحاً لنفسه . أجل . هؤلاء الفلسطينيون خليط من أصحاب المآرب التي تتفاوت نبلا ولكنهم على كل

حال لم يذهبوا لممارسة الإرهاب الذي يدمغ به كل من كان من قطاع غزة تقريبا .

فيا إخوتنا العرب والمسلمين الذين لا يجهلون هذه الفريضة ومكانتها من الدين : يا بني أمتنا وشعبونا . يا أقرباءنا وأنسبائنا . يا أهل الذوق والإنسانية : إن الحجاج الفلسطينيين في مكانهم الذي هم فيه يعانون شيئا فوق طاقة البشر . فلقد خرجوا أصلا من موطنهم وربهم أعلم كيف خرجوا وأنتم تعلمون . وقد وصلوا إلى غايتهم متأخرين فلم يرتاحوا ولو قليلا بل هرعوا للحاق بالشعائر على عجل . وقد فرغوا من شعائر الحج وكلكم يعلم الحال الذي يخرج به المرء من زحام الملايين فإن لم يعلم بنفسه فلا بد أنه سمع من قريب أو جار مؤمن ، ومعظمهم يرجعون مرضى أو منهكون . وقد انطلقوا إلى الأسواق في الفسحة القليلة من الوقت المتاح قبل تحرك ركبهم الموعود والمحدد وقته وقد تدبروا مالا أمدهم به غالبا ذووهم وأبناؤهم وإخوتهم المغتربون ليحملوا معهم إلى غزة المحاصرة حصارا مطبقا منذ أكثر من ستة أشهر شيئا من الملابس أو المؤونة أو سائر الضروريات التي حرمهم الاحتلال من الحصول عليها ولو بالسعر الباهظ الذي يفرضه على هؤلاء الفقراء المنكوبين الذين لا يفتأ ينكبهم كل يوم : ينكبهم في حياتهم وأمنهم . وفي راحتهم في يقظتهم وفي نومهم وفي ما تبلغه أيديهم القصيرة من دريهمات قليلة يصعب دخولها ويسهل خروجها بالتبخر السريع جراء بطالة شاملة تتفاقم يوما بعد يوم وعدو يريدهم قصدا أن يجوعوا ويفتقروا . انتهى هؤلاء الحجاج من حجهم المبرور وسعيهم المشكور والشوق يدعوهم إلى فلسطين الحبيبة . ومن أسرار أرض الرباط أن من يبرحها ضائقا بحاله فيها ما يلبث إلا قليلا حتى تضيق الدنيا كلها في نظره ويجن شوقا إلى تلك الأرض المباركة التي بارك الله فيها للعالمين . فلئن

كان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فإن أول ربوع  
اختصها الرحمن الرحيم ببركته هي بيت المقدس وأكناف بيت المقدس .  
هؤلاء الحجاج الفلسطينيون في الصحراء متحرقون شوقا لأرضهم ولعائلاتهم  
ولشعبهم تحت الحصار . كل لحظة من لحظاتهم مرار يضاعفه أن أبواب  
الأمم أغلقت دونهم فهم لا يعرفون ما مبعث هذه الأزمة التي فاجتتهم ولا  
هذا العذاب الذي أصابهم وهم قد حجوا حجا صعبا مبرورا وظنوا أنهم  
خرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم .

فأي ذنب اقترفوا ؟ وأي وزر تحملوا ؟ هل خذلتهم السماء كما خذلتهم أهل  
الأرض !؟

حاشا أن يكون ذلك مآل أهل الرباط . وإنما لعل ثقة أن القلوب ستتهفو لهم  
وستكأهم بالمحبة والحنان . ولن يبقوا في أماكنهم رهن الرياح والتراب  
يسفو في وجوههم ودريهماتهم القليلة تنفذ ساعة بعد ساعة ودقيقة بعد دقيقة  
لا لن يمكثوا هناك حتى يأتيهم نهازو الفرص الأجلاف ليشتروا منهم  
تباعا وبالثلث البخس هدايا الحج التي حملوها لأحبابهم في غزة مقابل ما  
يقيم أودهم . ولن يدعو أحد وكالة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة لتجعلهم  
ملفا آخر من ملفات اللاجئين في هذا العالم . لا . لا . إنهم شعث غبر  
بعد حجهم . ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره . ويجب أن يتقي  
المسؤولون شر دعوات المظلومين .

يهل علينا رأس السنة الميلادية الجديدة وإخوتنا المسيحيون الذين هم  
مواطنونا وشركاؤنا في البلد الطيب فلسطين يعانون ما نعاني ويتمنون ما  
نتمنى . ويشاء رب الأقدار أن يطالعنا رأس السنة ونحن وهم في هذا  
الرباط الصعب . وحجاج بيت الله الحرام

وعجبت من الذين هاجموا ومن الذين ردوا عليهم .. ! فهؤلاء الذين هاجموا يتغافلون عن أن  
وجود عملاء أو وجود شبكات للعملاء ليس وقفا على مكان دون الآخر . وعليهم أن  
يتحسسوا جبهتهم جيدا . وهؤلاء الذين استنكروا وأنكروا كان يجدر بهم أن يقولوا للآخرين :  
نعم إذا كان لدينا ما نقولون وقد كشفنا أمرهم فما بالكم لا تكشفون أمر ما لديكم أنتم !؟

